التحولات الاسلوبية في أعمال الخزاف فالنتينوس كارا لامبوس

م.م.زينب كاظم صالح البياتي

المقدمة :

بدأ لابد من معرفة مايفترضه البحث الحالي، من وجود نتائج محددة تتكشف عبرها التحولات الاسلوبية، تفرزه او ماتقوده المرجعيات، من الممكن ان نستقيه لاستقراء واستنتاج حركة التفسير والتحليل وصولا لفهم معطيات النتاج الفني لفنان محدد. فالفن هو نتاج معرفي يحمل في طياته ماتفرزه البيئة الطبيعية والمفاهيم الاجتماعية وهو كنظام يتصف بجدلية حوار بين الفنان ككائن منتج ومحيطه، لتؤول في النهاية وتنصهر خصوصيته في بودقة اسلوبه الفني، وفق بصمة محددة. وعليه فأننا نسعى في بحثنا الحالي الى الكشف عن المغزى او مايمكن ان نطلق عليه مسببات التحولات أو الازاحات الشكلية من خلال الكشف عن المعطيات البيئية والثقافية المؤثرة على خزافنا موضوع البحث.

اهداف البحث :

يهدف البحث الحالي الى الكشف عن التمرحلات أو التحولات والانتقالات الاسلوبية للخزاف فالنتينوس عبر مسيرته الفنية.

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث من خلال قراءة وكشف المراحل الاسلوبية كخصوصية ابداعية للخزاف فالنتينوس لما من شأنها أن تكوّن مفاهيمية تفيد المهتمين في مجال الفنون التشكيلية عامة وفن الخزف خاصة، كقيمة معرفية بحد ذاتها.

حدود البحث :

الحدود الزمانية/ تم تحديد الحدود الزمانية لاعمال الخزاف منذ بواكير تشكيلاته الخزفية أوائل الستينات وحتى بداية التسعينات(*) .

الحدود المكانيـــة/جميع منجزاته الخزفية الموثقة والموجودة فـــي بغداد، من خلال صور المقتنيات الشخصية للفنانين وفـــي القاعـــات العامة.

تحديـد المصطلحات :

التحولات الاسلوبية في اعمال الخزاف فالنتينوس :

عند التحدث عن اسلوبية خزافنا موضوع البحث نتوقـف عنـد المصطلحين التحولات الاسلوبية. فالتحول Peripety / هو انعطاف مباغت للاحداث(١).

التحول المعرفي/ هو انكسار خط المعرفة ، وضع هـذا المصـطلح الفيلسوف الماركسي الفرنسي لويس التوسير أول الامر للاشارة الى مالاحظه من تغييرات مهمة(٢)

تحوليـة Transformism/ هو قابلية الاحياء للتحول مـن نوع الى آخر ، وتحويل الصورة هو تغيير الشكل .(٣)

التحولات اجرائيا / هو الانعطافات والتغيرات والتي تطرأ في نظـام الشكل عبر ازاحة محددة .

ـ أما الأسلوب Style

فالأسلوب لغة : جمع أساليب وهـي كلمـة مشـتقة مـن السـلب (والسلب) شجر طويل ينبت متناسقا ويطلـق علـى هـذا الأسـلوب الطريق . وتطور استعمال هذه اللفظة فكان الاسلوب يعني الطريـق والمذهب ويقال انتم أسلوب شر تهذيب .

وعرفه عبد القادر الجرجاني(١)الاسـلوب الضـرب مـن الـنظم والطريقة فيه. اما (هيكل)(٢)فعرفه (مابه تنكشف شخصية الذات التي تتظاهر في طريقة التعبير عن نفسها) .

وعرفه (ساندل) (الامكانية في التعبير عن الفكرة الواحدة بعـدة طرق)(٣).

وعرفه (هنري بيل) (ان الاسلوب يتضمن اضافة كل الظروف المحسوبة الى الفكرة المطروحة لخلق التأثير الكامل).(٤)

وعرفه (عادل كامل) (هو نتيجة للتراكم الكمي المعرفي الذي يشكل بالتالي شخصية الفنان وبواسطته يمكن للفنان ان يتميز بشخصيته تلك من خلال اعماله وتبعا للمذاهب والاتجاهات الفنية وتطوير الاتجاه او الاسلوب او تحويله ويعني تطور الفنان).(٥)

في الاصل مايتسم به الشخص في التعبير عن افكاره وتصوير خيالهكما ويطلق في علم الجمال على مايتميز به فنان او عصر معين من طراز خاص.(٦)

ـ التحولات الاسلوبية : هي الانعطافات والتغيرات المتمرحلة عبر فترات محددة لفنان معين، تعكسها السمات الشكلية لمنجزاته.

نبذة عن حياته :

في البدء لابد من التطرق الى نبذة مختصرة عن تاريخ تلك الشخصية الفذة، والتي كان لها الأثر الواضح على اعمال العديد من خزافينا، بل ويستوجب ان نقول كان لها الأثر الواضح على الخزف العراقي المعاصر عموما، ولابد لنا هنا ان نتعرف الى اصل هذه الشخصية، لنتمكن من الوصول الى اسلوبية هذا الفنان الرائد وميوله.

ولد فالنتينوس عام 1929 في جزيرة قبرص، كان ابوه خزافا تقليديا ورث عنه وعن عائلته مهارتها الفنية، التحق عام 1948 في مدرسة الفنون والصناعات الجميلة ، وبعد ثلاث سنوات دراسية حصل على شهادة الدبلوم من مدرسة الفنون والصناعات الجميلة المركزية بدرجة امتياز، فكان له الذكاء الكافي الذي جعله قادرا على تطعيم مهارته التقليدية، بالعلم الاكاديمي والمعرفة التقنية والنظرة الشمولية الواسعة للتصميم، وكان هذا من الامور المحيرة، لان الخزف القبرصي التقليدي محدود الآفاق نوعا ما، الا انه استطاع ان

يستوعب هذه المهارات بسهولة ظاهرة، دون ان تفقد اعماله الفنية الروحية الهيللينية الاغريقية الصادقة.

كان للبيئة بزمانها ومكانها الدور الكبير في شخصية هذا الفنان المبدع، فمن المعروف ان هذا الفنان لم يكن شخصا عاديا بكل المقاييس المعتادة، فهو قبرصي الاصل وقبرص تنشق الى جاليتين مهمتين هما القبارصة الاتراك والقبارصة اليونان، وفالنتينوس كان أحد القبارصة اليونان، وهذه العبارة كافية للتعرف من أي حضارة نزح هذا الفنان، فقد نشأ وترعرع على الفن اليوناني القديم بما يحمله هذا الفن من روحية واصالة، فاليونان محبوا للفن والجمال وفالنتينوس كأحد ابناء جيله احب فنه وشرب من منبعه وتأثر به، وبالتقاليد الكلاسيكية للفن والذي يعتبر ان الطبيعة غير كاملة، وان على الفنان ان يبدع في كمالها ليصل بها الى اقصى درجات الكمال والجمال المثالي، ويتجسد ذلك من خلال الاهتمام بالشكل الخارجي للعمل الفني، وكيفية اخراجه بالصورة الكاملة ويتميز هذا الفن ايضا، بخلوه العاطفي وبالتالي لايمكن ان يشعر المتلقي بالدفء والانفعال، حيث نلاحظ ولع الفن اليوناني بالزخرفة والملابس وتجسيد الجمال الجسماني الخارق، (من خلال تصوير أجسام الرياضيين) فهو اذن يركز على العقل والنظام. فكل تلك الترسبات كانت تكمن وتمثل خصوصية الخزاف فالنتينوس، ونلاحظ اثرها كان واضحا في العديد من اعماله ولاسيما التجسيمات البشرية (شكل17)، ولم تقتصر التأثيرات اليونانية والأغريقية على أسلوبية خزافنا موضوع البحث، وانما تعرض لتأثيرات اخرى مستجدة وملهمة له، اختزنها الفنان خلال دراسته في انكلترا فكان لتأثيراتها هذه، الدور الواضح في صقل الفنان فجعلت من مكونه الفكري، واقع ينطلق من خلاله ويحدد أسلوبه الفكري والفني (قبل بضعة أعوام وفي حوالي عام 1948 وصل فتى بهي الطلعة، يبلغ عمره ستة عشر عاما وصل الى مدرسة الفنون والصناعات الجميلة في لندن، وطلب ان يتم قبوله كطالب في قسم السيراميك، وقد شكل طلبه هذا معضلة حيث ان

الفصل الدراسي كان قد انقضى نصفه، وكانت الصفوف الدراسية مملوءة بالطلبة ولم يكن لدى هذا الفتى، التدريب الاولي اللازم وفي كل الاعتبارات كان هذا الفتى اصغر سنا من ان يكون طالبا في مؤسسة كهذه، وكان من السهل جدا علينا ان نرده الى اعقابه قائلين له نحن متاسفون جدا، اذا لايمكننا قبولك طالبا ولكن كان هنالك شئ ما، مختلفا في هذا الفتى القبرصي، وهذا ماجعلنا لانعير اهتماما كبيرا هذه المرة للقوانين الدراسية، وقررنا ان نقبله لدينا تحت التجربة لمدة ستة اشهر، ولم نندم على هذا القرار).(*)

عمل فانتينوس كارالامبوس خزافا واستاذا للخزف في العديد من البلدان، وقد شغل منصب رئيس قسم السيراميك في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام 1957، وبقي في المعهد حتى عام 1968 حينما ضمت جامعة اكاديمية الفنون الجميلة كفرع لها، حصل فالنتينوس على الجنسية العراقية بتاريخ 1980/5/13 وظل يعمل استاذا في اكاديمية الفنون مدة طويلة ، حيث كلف للأشراف على فرع الخزف في الكلية المذكورة، وذلك لجهوده المتميزة وامكاناته التقنية العالية، ويعود له الفضل الكبير في نجاح هذا الفرع، وفي تخريج دورات حملت الراية من بعده متأثرة بفنه وشخصيته وأسلوبه.

مفهوم الأسلوب وتحولاته دراسة تحليلية

صنف المؤرخ الفني (فولفن)(*)الاسلوب الى :

١. الأسلوب الفتري: والذي يقرن اقترانا خاصا بفترة معينة ومكان معين، وجماعة معينة، او فنان معين وهو احد طرق تنويع نمط دائم وهو محدد من خلال الاشكال المفضلة في فترة ما او عصر معين، وفي بعض الاحيان يكون من المستحيل ان نحدد مكان اسلوب فتري من الناحية الجغرافية او الزمنية، لافتقارنا الى معلومات عن أصله، او منبته فقد توحي معلومات جزئية او تشابه

جزئي، بين اساليب معروفة باصل او منبت فرضي او باحتمالات عديدة اخرى.

٢. الأسلوب القومي: وهو الذي يحدد الخصائص المميزة لامة معينة من حيث مزاجها وسلوكها، وانعكاس ذلك على الفن مثل الأسلوب الياباني أو اليوناني أو الاغريقي، وهكذا .

٣. الأسلوب الشخصي: والذي يعكس طابع او مزاج الفنان الخاص، وفي بحثنا هذا وسوف يتم تقسيم مراحل اسلوبية فالنتينوس كاسلوب فتري، رغم تداخل الأسلوب القومي والشخصي بصورة ضمنية مع الأسلوبية الفترية.

فبما اننا نتحدث عن اسلوبية فانتينوس وليس أسلوب حقبة فلابد ان ننوه الى امور عديدة، تخص ذلك الأسلوب، فهناك صلة بين حياة الفنان وعمله الفني، وعلى الرغم من ان هذا لايكون من الضروري ان يكوّن أسلوب كل فنان هو، أي ان يكون اسلوب حياته وانما يسعى الفنان جاهدا في سبيل العمل على الاتجاه بحياته نحو مستوى التعبير. فالعمل الفني مستمد من الفنان نفسه وهو صادر عن ارادة الفنان الفعالة، والتي اتجهت بالتعبير عن نفسها من خلال ذلك العمل، والذي سرعان ما استحال الى موضوع جمالي قائم بذاته، وهناك عوامل عديدة تؤثر على اسلوبية الفنان من خلال تاثيرها على الادراك الحسي للفنان، فلا يمكن للادراك الحسي ان يظهر بشكل مبرمج او حتى ان يولد الاسلوب بعيدا عن احضان البيئة فللبيئة دور مهم في تغذية احساس الانسان فنيا وخصوصا ونحن نتحدث عن الشخص الذي يرى الاشياء بعين حساسة ثاقبة، ويدرك الاشياء بحواسه وليس الذي يرى الاشياء وكأنها مجرد عوابر، فالبيئة هي الوسيط الذي يعيش بداخله الفنان ويتستر به، ويتضمن المؤثرات الطبيعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية والتأريخية، ويكوّن من خلالها ثقافته ورؤيته الذاتية تجاه العالم، وما يعكسه فيما بعد في منجزه الفني من حيث الموضوع والاسلوب والتقنية، فالصور التي تنطبع في اعماق الانسان (الفنان) ماهي الا

نقوش، وهي ليست صور وقيم بالية بل تظل هامدة الى فترات طويلة لحين استدعائها، حينها تستفيق من سباتها العميق لتنتفض وتخرج الى الواقع، واضعة بصماتها على النتاجات الفنية وهذا ماهو واضح في اعمال خزافنا موضع البحث فالنتينوس .

وعليه فأن رؤية الفنان للبيئة قائمة على قدرته على ادراك العالم اكثر من كونها واقعا موضوعيا صرفا، بل ان ادراكه لها بطريقة واعية يتم من خلال بغلغله لواقعه البيئي، بانفعالاته واحاسيسه وبما يضفي لمنجزه الفني حيوية وقدرة على الاثارة الجمالية، وفالنتينوس لم يجعل من بصره عدسة فوتوغرافية تلتقط صورا كاملة للشئ، بل هو يجعل من نظرة خاصة تختار من الموضوع مجموعة من العلاقات محاولا ابرازهاعلى صورة (موضوع جمالي)، له كيانه الخاص وهذا ماحصل في تجريداته، فالدور الذي يؤديه فانتينوس لتحقيق طواعية البيئة، جعله يلجأ باستمرار للتعايش والتفاعل معها ولتحقيق تفاعله هذا على المستويين الحسي والانفعالي، فالاشكال والحجوم والخطوط والمكونات الشيئية الاخرى والموجودة في البيئة تشكل منظومة عشوائية، فكان على الفنان ان يقوم باعادة خلق تلك الاشياء ضمن سياق جمالي منظم، ففالنتينوس بقدراته الادائية كفيل بأن يؤكد موجودية بيئة وأهميتها، من خلال امتصاصه لعناصرها والتجاوب مع معطياتها، فكان عليه ان يصوغها بشكل تشخيصي تفصيلي، أو يتناول بعض الوحدات الشكلية من البيئة،

يعالجها ويصوغها بأسلوب خاص، فقد حاول الفنان ان يترجم معالم بيئته الحضارية، من منجزات علمية وعلوم انسانية الى سياق فني، يأخذ قيمته عبر التزامه القيم الوجدانية ، فتجلى عن ذلك اهمية السياق الفني كموقف ايجابي، استزاد واضاف لموضوعه الاصلي روح العصر الابتكارية، متزاوجة مع البيئة التراثية، فالتراث حصيلة بشرية يتضمن النظم الثقافية والعادات التي انتقلت من جيل الى آخر، واستقرت في المجتمع فهو ماتراكم خلال الازمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون لشعب من

الشعوب، ويمثل جزءا من قوام المجتمع الاجتماعي والانساني والسياسي والديني.

فالفنان قادر هنا من ان يؤدي دوره في اظهار قيم تراثه واصالته بتوثيقها باساليب فنية جديدة ومتميزة، وتكون محور ثقافته ، غنية من خلال تأكيدها على عراقة واصالة ذاتها بما تستحوذه من قيم تراثية من جهة، وماتمنحه القدرة لاستيعاب قيم بيئته المعاصرة وبواقعها ومتغيراتها، وهذا يعني ايجاد التراث كقيمة مضافة لبيئة تحمل دلالات خاصة. وهناك جانب آخر له دور ريادي في تطور وتقدم الاساليب الا وهي الاطلاعات الواسعة على الثقافات الاخرى ، والتي تؤثر تأثيرا كبيرا في تطور ونمو الاسلوب الفني، فعند العودة الى اعماله الاولى (شكل 1) أقدم عمل للخزاف عام 1953 اناء تقليدي، استخدام زخارف حيوانية ونباتية بسيطة يشبه لحد مازهرية تعود الى عام 1530 ايطالية الصنع استخدام الزخارف الملونة على Malolica (TIN – Glazed) مفخورة بحرارة Eerthes ware أي حرارة واطئة، طينة حمراء .

ان اسلوب تنفيذ هاتين الآنيتين متقارب لحد ما ، رغم وجود فارق في زخرفة الآنيتين (عمل فالنتينوس وحدات نباتية وحيوانية)، والآنية الايطالية زخارف نباتية الا ان هناك تشابه واضح من حيث التقنية، والخطوط المستديرة واسلوب تنفيذ الزخرفة. راجع(شكل 1)، (شكل 1 ــ أ)، ان العمل السابق يوضح مدى اطلاع الخزاف وتأثره الشديد ومعرفته النافذة على الثقافات الاخرى، ولم تقتصر التاثيرات الحضارية على فالنتينوس فقط، وانما امتزجت مع تاثيرات عائلته التقليدية، فكما ذكرنا ان والده كان خزافا تقليديا أثر تاثيرا كبيرا في اعمال فالنتينوس. سوف نستوضحها في دراسة اعماله ونستطع ان ندرجها في مراحل ثلاث (*):

المرحلة المبكرة من اعمال فالنتينوس :

تميزت مرحلته هذه باعمال لاتتعدى اشكالا تقليدية جرار، كؤوس، اباريق، بطريقة مبسطة جدا تكاد تكون تقليدية بدائية جدا، تنزح من عائلته الخزفية وتاثيرات دراسته الاكاديمية بالاضافة الى تاثيرات الخزاف فبرنارد ليش الخزاف الانكليزي الكبير، والذي أثر في فالنتينوس اثرا كبيرا بفنه وافكاره وخصوصا في هذه المرحلة المبكرة من اعماله (شكل1ـــ ب)[**]، غبرنارد تميزت اعماله (بالمنفعية والاستعمالية) ويركز في فلسفته على محاولة معرفة كل ماهو جيد او سئ في الاواني، والاعمال التي تقلد الاوليات او الاواني التي لاتقلد الاوليات واكد ان الخزاف يجب ان يكون ملما بالاعمال الاغريقية من قبل 2500 سنة او اكثر، وقد سئل لماذا يكرر العمل نفسه دائما؟ اجاب انه ليس بتكرار نفسه مرتين فهي تبقى مختلفة، حتى لو حاولت التكرار لانه حينما تبلى التقاليد يكون من الضروري على الافراد من الفنانين ان يحلوا بانتاجهم محل التقاليد البالية، على ان يكون هدفهم الوحيد ليس العمل من اجل انفسهم، بل لكي يهيئوا الطريق امام تقاليد مبدعة جديدة. وهذا لايعني ثبات عدد من التقاليد داخل اقليم معين، ولكن المقصود هنا انه ربما ترتبط الاعمال الفنية بعضها ببعض، بنفس النسق اللوني او الشكلي او أي عنصرا آخر وكل يضفي لمسته واسلوبه، ولقد لوحظ ان هناك تقاربا شاملا في الاسلوب من حيث الشكل والتعبير بين اسلوبية فالنتينوس واسلوبية برنارد ليش في هذه الفترة المبكرة، راجع شكل(1ـ ب) حيث نلاحظ في اعماله اسلوبية تقليدية فقد عمل الاواني الخزفية والتي لاتتعدى الجرار والكؤوس والاباريق بطريقة بسيطة جدا مشابهة لحد ما، الاواني القديمة والتي ظهرت في (عصر الزراعة) وقد جسدها الخزاف في هذه الفترة باسلوب شكلي ولوني بسيط جدا، فالسطوح ملساء خالية من الزخارف تقريبا وملونة بلون واحد او استخدام زخارف نباتية او حيوانية[*] وكتابات شعرية يونانية افرزتها تأثيراته بالشاعر اليوناني كفافي فاستلهم شعره، فالافكار التي

تصوغها العبارات والكلمات يقولبها فالنتينوس بلغة تعبيرية صامتة(**).

لذا نلاحظ اعماله في تلك الفترة والتي تمثل نهاية الستينات قد طرحت نفسها مباشرة بأمور تطبيقية جمالية، اعمال صناعية تقليدية يحتة، راجع الاشكال (7,6,5,4,3,2) للتعرف على اسلوبيته في تلك الفترة فهي اواني منزلية، سلع استهلاكية وكانت التأثيرات اليونانية القديمة مع تقنيات الخزف البريطاني واضحة المعالم ، فهو نازح من الحضارة اليونانية والتي درس ماضيها واعجب فيه ومن خلال ممارسته ودراسته التكنيكية، تكاملت اسلوبيته في تلك الفترة والتي امتدت حتى بداية السبعينات من القرن المنصرم.

المرحلة الوسطية من اعمال فالنتينوس :

تمثل اسلوبيته في هذه المرحلة والتي انبثقت في بداية السبعينات حين تعرض فنه لانقلاب مفاجئ، وتنوعت اشكاله. تم ذلك من خلال استيعابه للمراحل الفنية السابقة والمنعكسة في نهجه الاسلوبي عبر الحقب الزمنية الصارمة ومن خلال تاثيرات البيئة العراقية وطبيعتها الديناميكية، ارتطم خلالها اسلوبه التقليدي بالواقع الديناميكي، الا ان هذا لايعني خروج الفنان عن صلاته بالموجودات، ذلك ان فنه اعتمد طابعا مختلفا عن سابق عهده نوعا ما، حيث اتخذت تشكيلاته تحويرات طفيفة في البداية، لها تاثيرات بيئية وثقافية فتعددت اشكاله والوانه وخاصة بعد عودة تلميذه سعد شاكر من انكلترا، اذ أدت عودته هذه من تحويل في نهجه الاسلوبي وافكاره ابتعد خلالها من الاشكال الكلاسيكية الى اشكال حرة طليقة، اتخذت عبرها طرزه تمييزا بخروجها عن المألوف اشكالا مشكلة على الويل الكهربائي ومن ثم اجراء تغيرات عليها لتغدو اشكالا تقترب من الشكل البشري، راجع الاشكال(13,12,11,10,9,8) وعلى الرغم من قيامه بهذه التغيرات الا ان مبدئه في تشكيلها العملي ثابت. اما عن اسلوبه اللوني فقد ظل كما هو اسلوبا تقليديا وكأنه

يخشى الخروج عن عاداته ومبادئه فقد تميزت الوانه العسلية والشذرية والقهوائية. ونلاحظ ان هناك تاثيرات موروثية، من خلال نقل بعض الوحدات الزخرفية راجع(الشكل 16) وقارن مع (شكل 16ـ ب) آنية من تل بلا[*] وحدة زخرفية حلزونية مدورة دورانا مستمرا، (فالشكل الحلزوني تصميم نموذجي استعمل بوفرة في بلاد الرافدين وفي منطقة البحر الابيض)[1] استلهمه الخزاف من المأثورات الفنية في المتحف العراقي. كذلك لجأ الى اقتباس وتحوير الاشكال الحصرية والدوائر والمثلثات واشكال السجاد والبلاط الكاشاني، من خلال نقله لهذه الوحدات وتغير العلاقات التكوينية للنقوش للخروج بزخرفة مقبولة[**] .راجع شكل (18،19،20،24أ،24ب) وماتجمعها من اشكل قصبية واشكال هندسية منتظمة تزين جدارياته .

ولم تقتصر اقتباساته هذه على الموروث وانما مثلت اعمال لحضارات عديدة اخرى، انظر (شكل 14 ، 15) فعند التطرق الى وصف اشكاله نلاحظ التكرار النمطي لاعماله من خلال تكرار الوحدات الزخرفية، قارن بين اشكاله الجدارية وصحونه (شكل 18) (شكل 19) (شكل 20) (شكل 24 أ،24ب) ففي محاورة له (كان شيئا مايشدني الى الشرق ولربما في عروقي اليونانية، مايزال شيئا من الحنين الى التأمل وكان مجيئي للعراق حدثا هائلا لا استطيع نسيانه)[2]، وفي محاوره اخرى له في هذا الشأن يقول فيه: (أكد الجميع وجود تاثيرات مهمة في اعمالي وخاصة لتأثيرات التراث الفلكلوري العراقي فرغم كوني قبرصيا بالولادة الا ان وجودي (26) عاما في العراق جعلني اتاثر بتأريخه وحضارته، الممتدة آلاف السنين وهي عناصر الهمتني قدرة ابداعية استثنائية ، ظهرت في اعمالي بوضوح).[3]

في هذه المرحلة انجز مجموعة من الصحون واستمرت هذه الصحون في مراحل اسلوبيته اللاحقة، عشرات الصحون والاواني والتي تحمل تجارب لونية متعددة لزخرفة واحدة تبرز قدرة الفنان في

الحصول على قطعة من الخزف (نظيفة) بكل معنى الكلمة سواء بالشكل او اللون. ولم يكن هذا شيئا جديدا بالنسبة لخزاف كان والده وجده وورث عنهما هذه القدرة، فهو يحمل بين اصابعه القدرة على تدوير الآنية والجرار والصحون وتزجيجها بشكل أخاذ، وفي اشكاله الصحونية شكل (14) قارن مع 14 ــ أ) صحن من اليابان يعود لحدود 1500 م نلاحظ هناك تقارب في استخدام الوحدات الزخرفية ذات الخطوط الموحية وفي الشكل (15) نلاحظ تقارب الوحدات التكوينية مع (15 ــ أ) (15 ــ ب) صحون انكليزية المنشأ تعود لحدود (1500 – 1600) فرغم قيام الفنان بتكرار شكل الديك في الصحن المذكور، الا ان الوحدة التكوينية له مقتبسة من وحدات قديمة راجع الشكلين وقارن من حيث التكوينات الشكلية .

وفي هذه المرحلة ايضا نفذ الخزاف(*) جدارية (شكل 21) تختلف عن اسلوبيته في هذه المرحلة فهي تجريدات لكتابات واشكال هندسية، جسدها الخزاف باللون الشذري الفيروزي الشائع الاستخدام كمدلول لوني يحمل طابع تراثي، لقد كان يبحث في الموروث بما يوازي ضرورة استيعاب وتمثل التجارب المعاصرة، فرغم تجريداته في هذه المرحلة والمتجسدة في (شكل ٢١) نلاحظ اعمالا تواكب المرحلة نفسها يقترب الفنان من تجسيد اشكال واقعية بل يتجاوز فوق المثالية فيها ليقترب لحد كبير من التأثيرات اليونانية والاغريقية في كمال ومثالية اجسامهم وليقترب في الوقت نفسه من الالواح الجدارية للمأثورات الرافدينية راجع (الشكل 17) وقارن مع (شكل 17 أ) من حيث تجسيد جمالية الاشكال واستمرارية الحركة للشريط الوسطى، وبين (شكل 17 ــ ب)** والذي يمثل طبعه لختم اسطواني يعود الى الفنون الرافدينية القديمة 2500 ق.م، فرغم محاولاته هذه الا ان فنه في ذلك الوقت ظل محافظا على الطابع التجريدي بنزعته البدائية فرغم تمرده على اسلوبه هذا الا انه لم يتنازل عنه حتى بعد ظهور طرزه الجديدة. ذلك ان مراحل تطور اسلوبيته اتخذت وقتا ليس بالقليل للنضوج، فهو لايؤمن بالقفزات المفاجئة والتحولات

السريعة والعنيفة نتيجة حذره وتيقضه الشديد. وفي عقد الثمانينات اظهر فالنتينوس تطورا كبيرا في اعماله ان دل على شئ فأنما يدل على تنوع اسلوبيته من خلال المزاوجة بين التراث العراقي بالوانه الزاهية وبين كلاسيكية اشكاله ففي (الشكل 22) جدارية(*) نلاحظ تأثيرات تراثية عراقية حيث ابرز الشناشيل البغدادية والاهله والالوان الفيروزية ذات الطابع العراقي الاصيل، وفي اشكاله الاخرى والتي تمثل مرحلة الثمانينات (شكل 23) (شكل 25) (شكل 26) (شكل 27) اعمال مشرقة مزدهرة الالوان وقد وصفها احدهم (بزهرة ندية تداعبها فراشات الربيع)، فالقطعة الصغيرة تلخص كل التأريخ التطوري لفن الخزف من تقنيات والوان. اما جداريته (شكل 23) فقد وصفت بغابة خزفية يتيه من يفكر في التأمل فيها، متواليات شكلية دون ان تشمل اضافات متضاربة، الوان ممتعة، وتراكيب مثيرة للاهتمام تظهر فيها الانماط ذات الشعور الهيللينى الاغريقي، فهو غريزيا يكيف التراث التقليدي مطوعا اياه للتقنيات المعاصرة، من خلال سيطرته الخزفية الفائقة والذي مكنه وجعله مستمرا في حفظ أرث حضارته ، ارثه القومي فهو لم يخذل هذا الأرث ابدا.

المرحلة الاسلوبية الاخيرة :

تمتد مرحلته هذه من منتصف الثمانينات وتستمر حتى أواخر اعماله في التسعينات. اسلوبيته هذه تميزت بتكوينات حروفية مجمعة باشكال تجريدية، بل أعلى مرحلة من مراحل التجريد الصرف، انه مرحلة تطور لمراحل اسلوبيته السابقة، وقد تكون عنصرا اسلوبيا منفصلا في بعض الاحيان حيث تمتزج هذه الاساليب بحيث نراها بحكم الالفة والعادة اسلوبا واحدا متجانسا، وهذا مانلاحظه في اعمال الخزاف المعاصرة مجموعة من الاقواس وحروف والتواءات متداخلة مع بعضها البعض بطريقة ايقاعية جميلة ، شكله الفنان باسلوب تجريدي عالي تشوبه الملامح الهيلينية لحضارة

فالنتينوس، ولكن في جو معماري متناسق، اشكال معقدة التصميم تعبر عن عقلية رفيعة، افكار اغنى بها تجربته الابداعية، خبرة فنية يكشف فيها عن جوهر ماتكتنزه خبرته من قيم جمالية وفلسفية، يواكب من خلالها خطواته وتحدد هويته لينهض بحسه العاطفي الى مرحلة المعاصرة، اشكال موزعة مابين نحت فخاري وعمل جداري راجع الاشكال (28، 29، 30 أ،30ب) (والشكلين 31 ، 32) تمكن الخزاف من خلال فكرة الموضوع ، وطريقة توزيعه للوحدات الشكلية في تناسقها مع بعضها، وكأنها معزوفة سمفونية متكاملة مترابطة، حيث استخدام اسلوب التعددية اللونية في احدى جدارياته واللون الشذري الاصيل في الاخرى، أما منحوتاته فقد حاول فيها ان يقترب من الالوان الترابية الهادئة أي (لون خامة الطينة المفخورة).

ففي هذه المرحلة لم يجعل فالنتينوس من التراث أثرا مؤثرا في منجزاته التشكيلية بصورة تامة وحرفية، بحيث تبدو اعماله وكأنها استنساخ لذلك التراث بل قام بنقل التراث من محيط الى آخر، ذلك انه تكييف مع ذلك المحيط أي الجديد على اساس أن البيئة المعاصرة والتراث لم ينبثقا من الصدف بل هو مايكتسبه الفنان من صراع وألم، تمخضت عنه ارهاصاته الحسية لتجسد اعماله الفنية، انها قدرة الفنان على بث الجديد، فهو يحاول بفلسفته الفطرية وبعمق مادته (الطين) وبهاجس الحضارة ان يصنع اشكاله الديناميكية هذه.

نتائج البحث :

افرز البحث الحالي نتائج محددة يمكن ايجازها وفق النهج الآتي:

١. تزامن المرجع البيئي في بواكير اعمال خزافنا موضوع البحث حيث التشكيلات الخزفية البسيطة، بخصائصها الوظيفية. وتزييناتها البدائية، وتاثيرات كل من برنارد ليش الخزاف

الانكليزي والشاعر اليوناني كفافي فكانت سمة مرحلة مميزة في تشكيلاته الخزفية الاولى والتي مثلت مرحلة الستينات.

٢. ادى التحول المفاجئ في مرحلته الوسيطة انقلاب اسلوبي، افرزته مرحلة السبعينات وبداية الثمانينات من القرن المنصرم، ذلك نتيجة استيعابه للمذاهب الفنية الحديثة وتأثيرات تلامذته من امثال سعد شاكر، اضافة لتأثيرات البيئة العراقية وموروثها مما افرز تحول نحو الاشكال التجريدية والهندسية تبثها تشكيلاته والتي تعكس المزاوجة بين التراث العراقي وكلاسيكيته الواضحة، حيث يتواصل المرجع اليوناني بتأثيراته الكامنة خلف اسلوبية الفنان.

٣. مثلت مرحلته المتأخرة تحول اسلوبي نحو التجريد العالي من خلال التوليف الشكلي للتكوينات الحروفية وتشكلاتها والبنى المعمارية للحروف، هذا ويتواصل المحيط البيئي العراقي في تشكيلاته الخزفية بتجريد قصدي عالي، كما وتتواصل المرجعيات اليونانية الكامنة كخزين فكري يحدد اسلوبية الخزاف.

المصادر والمراجع :

١. البستاني، فؤاد ، المنجد ، دار المشرق الكاثوليكية ، بيروت .

٢. السعداني، خير الله، المصطلحات النقدية واصولها وتطورها حتى ق ٧ هـ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٤ .

٣. رولف، ساندل ، مفهوم الاسلوب، ترجمة لمياء عبد الحميد ، بغداد، دار الجاحظ ، ١٩٨٢ .

٤. بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكوين، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، ١٩٧٧

٥. بصمة جي، فوج، كنوز المتحف العراقي، وزارة الاعلام، السلسلة الفنية ١٧، مديرية الاثار العامة، بغداد ، (د . ت) .

٦. فتحي، ابراهيم، معجم المصطلحات الادبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس (د . ت) .
٧. عناني ، د. محمد ، المصطلحات الادبية الحديثة ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٦ .
٨. عيد، كمال، فلسفة الادب والفن الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٨.
٩. كامل ، عادل ، الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ .
١٠. مدكور، ابراهيم ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٣ .
١١. هنري، مدلتون ، معنى الاسلوب ، ترجمة صالح عبد الحافظ ، بغداد، دار الجاحظ للنشر (د . ت) .
١٢. هيكل، فكرة الجمال، ترجمة د . جورج طرابشي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨ .
١٣. نخبة من اساتذة التاريخ ، المدينة والحياة المدنية ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨ .
١٤. صحيفة الثورة ، العدد ٣٦٨٥ ، بتاريخ ١٩٨٠/٦/٢٨ .
١٥. مجلة لاريفيومودين(الاستعراض المعاصر)الباريسية عام١٩٥١.
١٦. فولدر خاص، دورا بيللينكتون ، لندن ، صالة عرض ، برلين ، ٨ شارع برلين ، اثينا .
١٧. مجلة امريكية Ceramces september 1985 .

الهوامش

(*) تم تحديد منجزاته التشكيلية عبر فتراتها الزمنية بالاستعانة مع : أ . سعد شاكر. د . محمد العربي.

(١) ابراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الادبية ، ص٨٠ .

(٢) د. محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٦ م ص٢٦ .

(٣) ابراهيم مدكـــور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ١٩٨٣ م ص٤١ .

(٤) راجع خير الله المسعداني، المصطلحات النقدية واصولها وتطورها حتى ق ٧ هـــ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، ص٢١١ .

(٥) راجع هيكل ، فكرة الجمال ، ترجمة جورج طرابشـــي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص٣١٣ .

(٦) راجع رولف ساندل ، مفهوم الاسلوب ، ترجمة لمياء عبد الحميد ، بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٨٢ ، ص٧٥ .

(٧) مدلتون ج ، هنري ، معنى الاسلوب ، ترجمة صالح عبد الحافظ ، بغداد ، دار الجاحظ للنشر ، دار الحرية للطباعة ، ص٦٨ .

(٨) عادل كامل ، الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ ، ص٦١ ــ ٦٢ .

(٩) ابراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص١٣ .

(١٠) دورا بيللينكتون/ لندن ، صالة عرض ، برلين ، 8 شارع برلين ، اثينا فولدر خاص (مقتنيات الاستاذ سعد شاكر).

(١١)عيد ، كمال ، فلسفة الادب والفن ، الدار العربية للكتاب ، ليبيـــا ، تونس، ١٩٧٨ ، ص٤١ - ٤٢ .

(١٢) نظرا لصعوبة تحديد الفترات الزمنية الدقيقة للاعمـــال فقـــد تـــم حصرها بمراحل تضم الفترات الزمنيـــة ، وقـــد تمـــت الاســـتعانة بالاستاذ الفاضل سعد شاكر لتحديدها .

(١٣) مجلـــة امريكيـــة / Ceramces september ، 1985

(١٤) لقاء مع الخزاف سعـــد شاكـــر.

(١٥) تعذر الحصول على عينة تمثل اشعار الشاعر كفافي (اما المعلومة فهي حديثة مع الخزاف سعد شاكر).

(١٦) من الفن الحوري اواسط الالف الثاني ق.م من تنقيبات بعثة المدرسة الامريكية في بغداد في اعالي نهر دجلة شرق نينوى ينظر فرج بصمجي، كنوز المتحف العراقي ، وزارة الاعلام ، السلسلة الفنية (١٧)، مديرية الاثار العامة (د.ت) بغداد ، ص٢٤٢ .

(١٧) اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، ١٩٧٧، معجم الاعلام .

(١٨) مقابلة مع الدكتور محمد العريبي .

(١٩) لقاء له نشر في جريدة الثورة العدد 3685 بتاريخ 1980/6/28 .

(٢٠) حديث له في معرض رامبرانت، فولدر خاص، مكتبة الاستاذ سعد شاكر.

(٢١) جدارية في احد الدور السكنية في المنصور .

(٢٢) ينظر نخبة من اساتذة التاريخ ، المدينة والحياة المدنية، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٧٣ .

(٢٣) جدارية مركز الفنون / المجموعة الدائمة .

اشكال المرحلة الاولى

المرحلة المبكرة من اعمال فالنتينوس

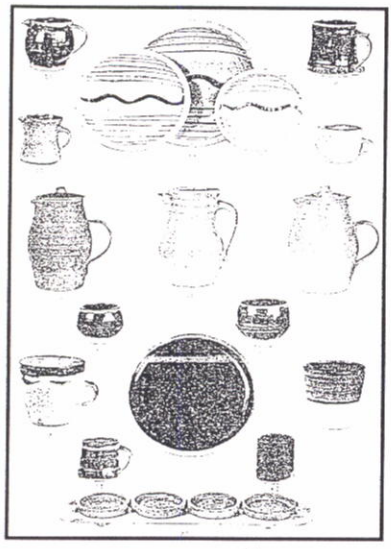

شكل (١) ب

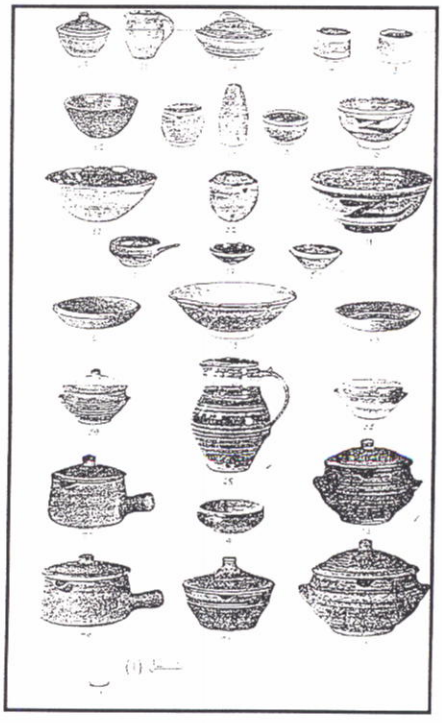

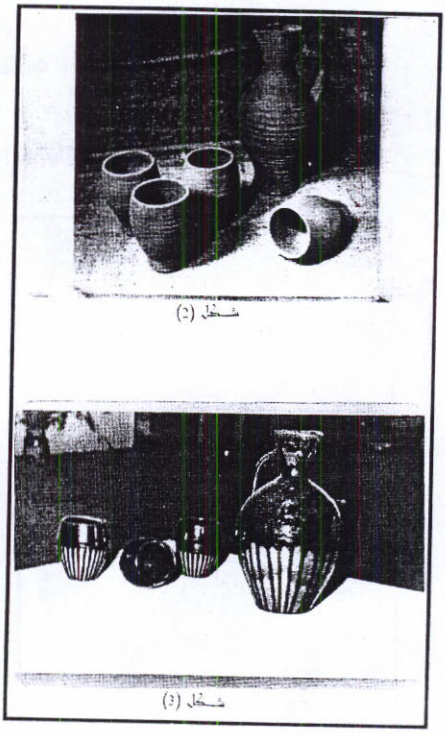

شكل (2)

شكل (3)

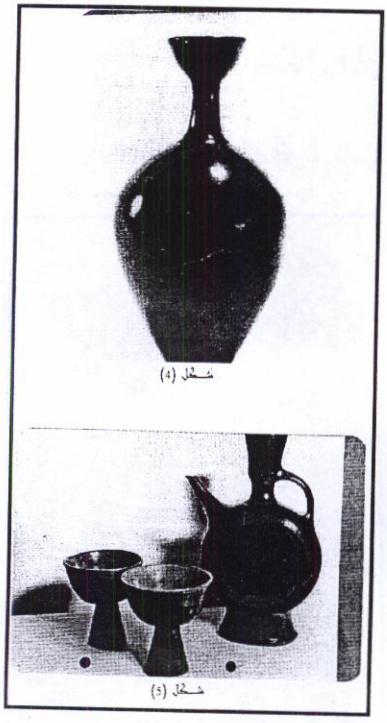

شكل (4)

شكل (5)

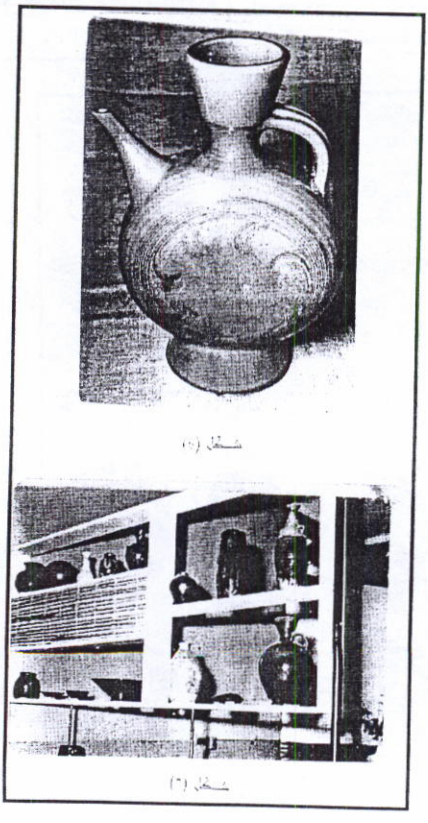

شكل (6)

شكل (7)

اشكال المرحلة الثانية

المرحلة الوسطية من اعمال فالنتينوس

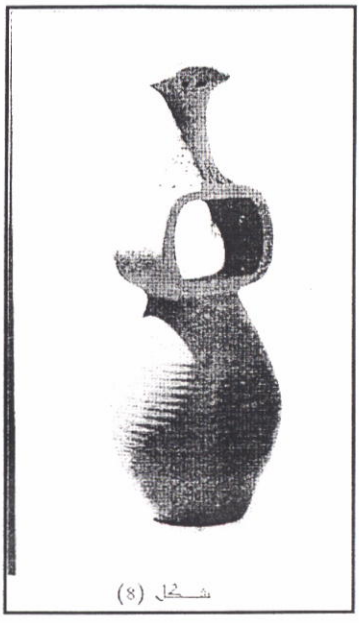

شكل (8)

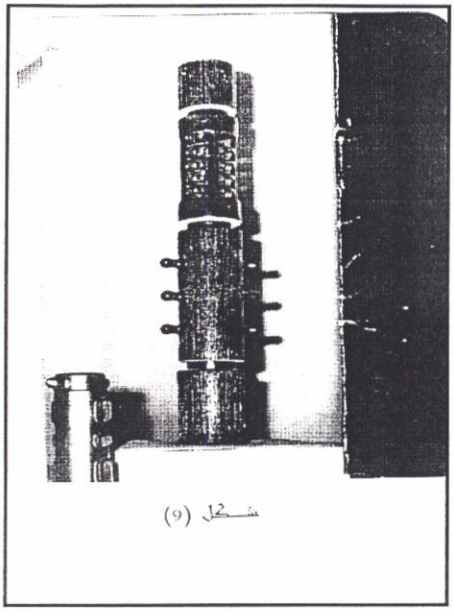

شكل (9)

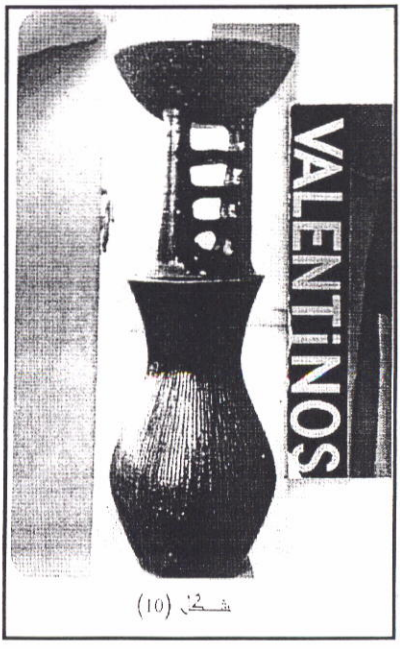

شكل (10)

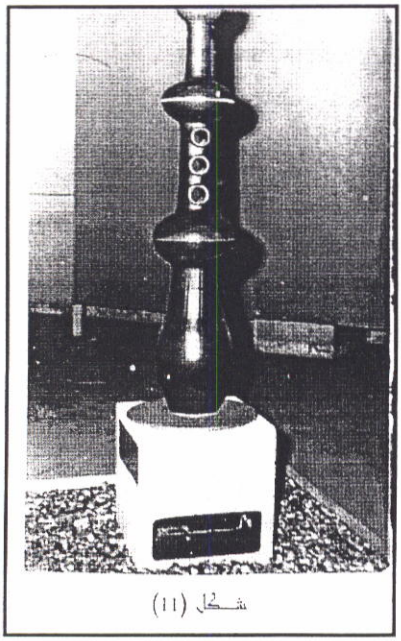

شكل (11)

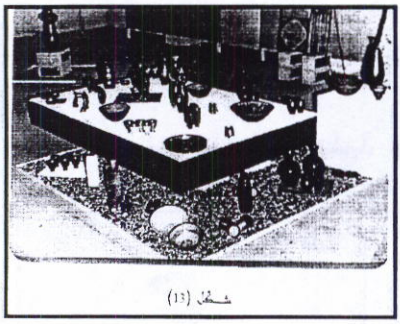

شكل (13)

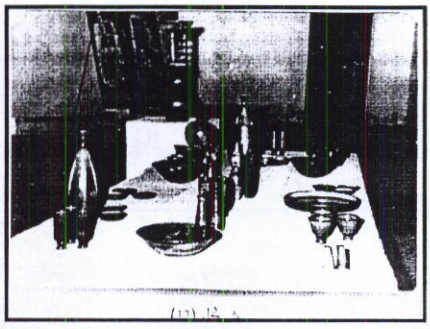

شكل (13)

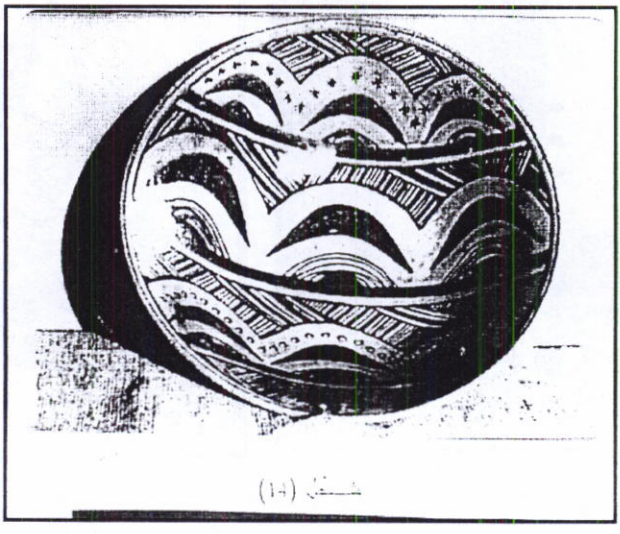

شكل (14)

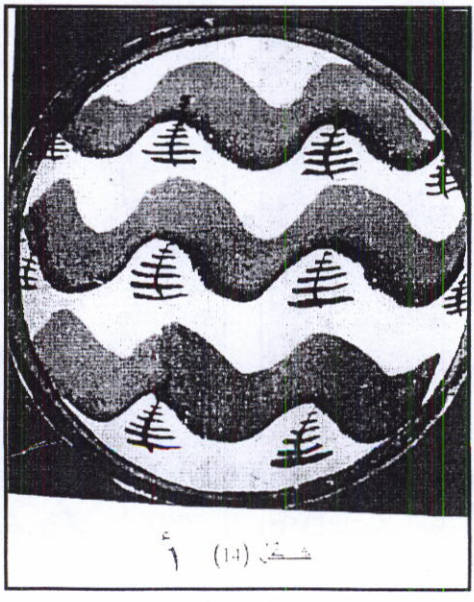

شكل (14) أ

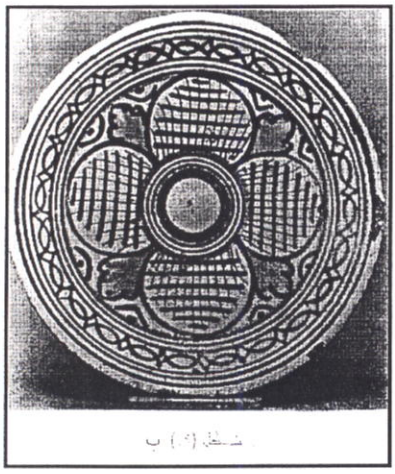

شكل (15) ب

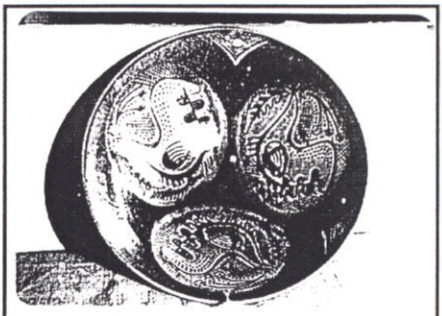

شكل (15)

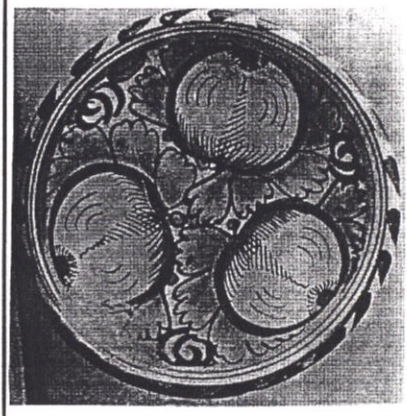

شكل (15) أ

شكل (16) ب

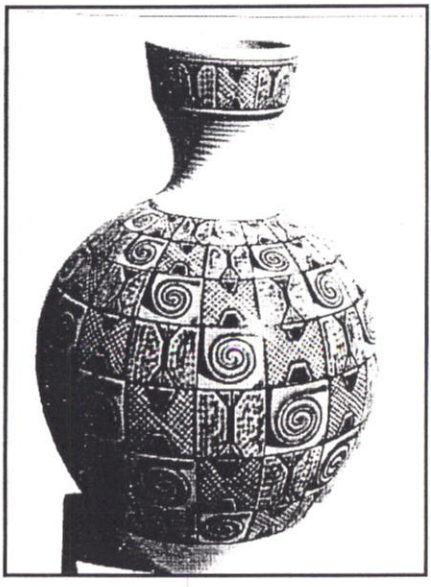

شكل (17)

6. GERMAN STONEWARE
Ewer, by Jan Emens. About 1576

شكل (17) أ

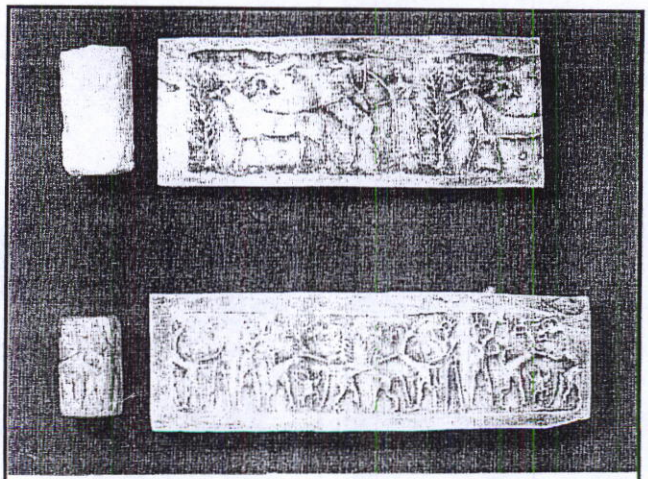

شكل (17) ب

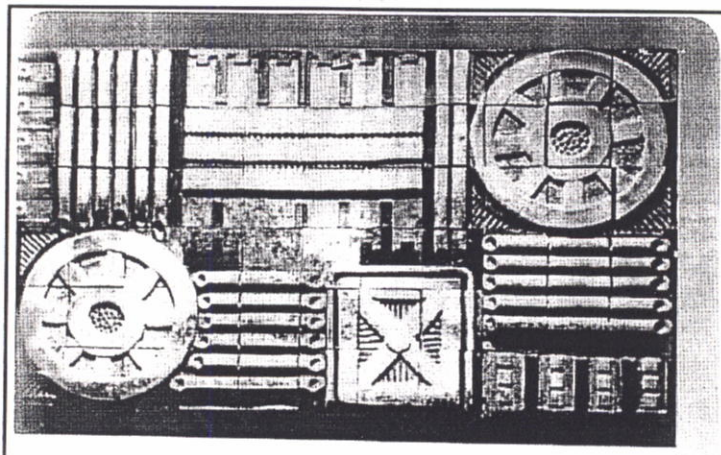

شكل (18)

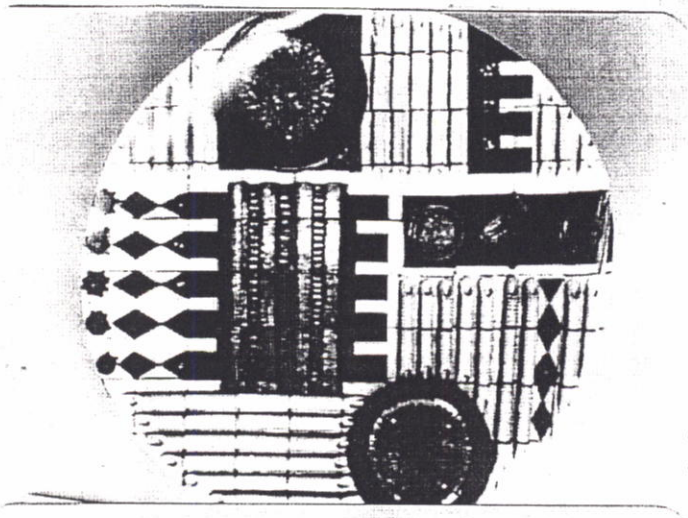

شكل (19)

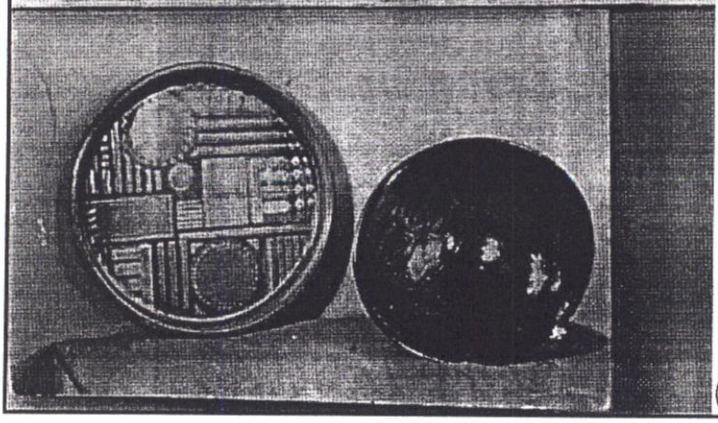

شكل (20)

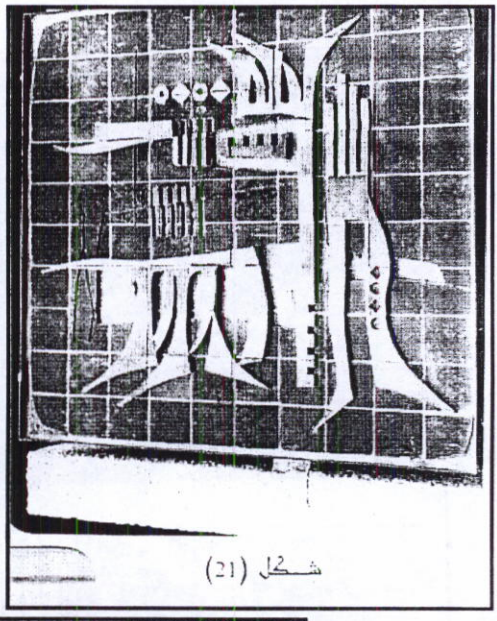

شكل (21)

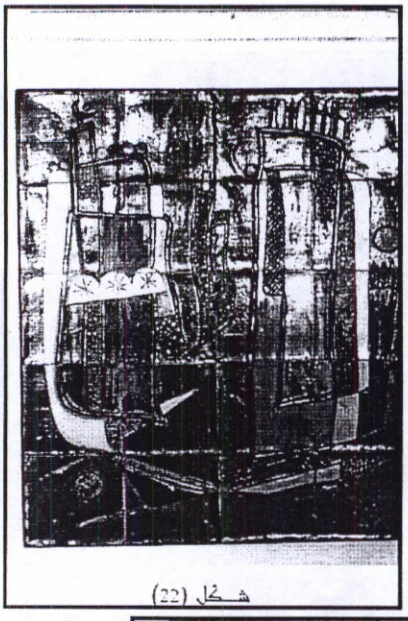

شكل (22)

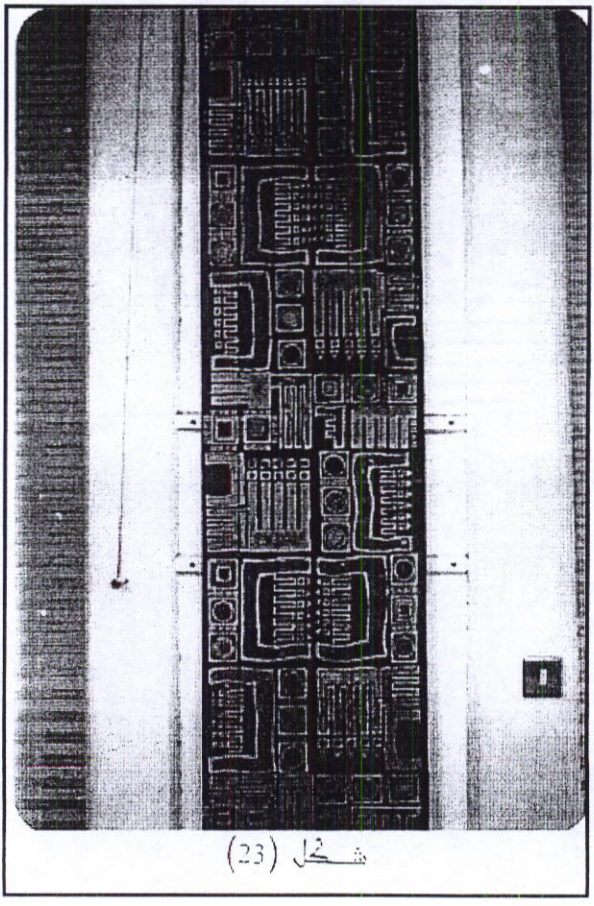

شكل (23)

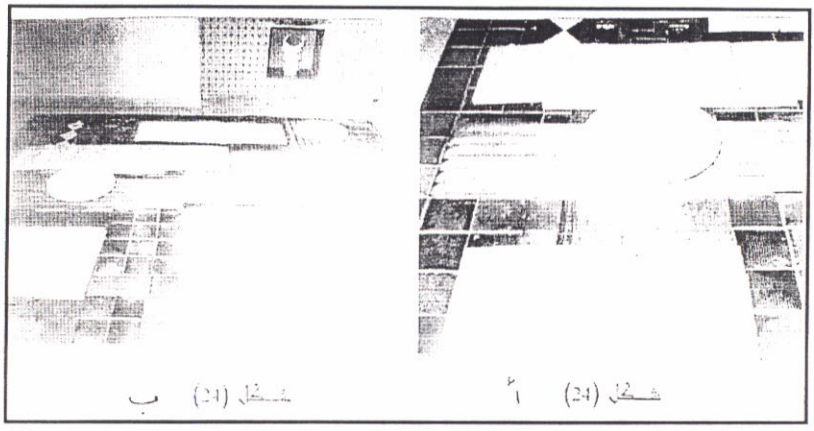

شكل (24) أ شكل (24) ب

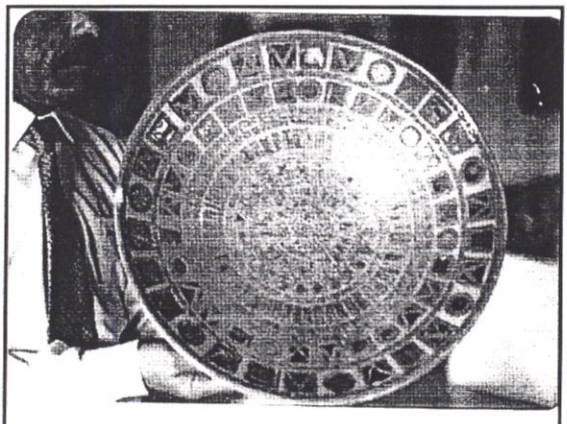

شكل (25)

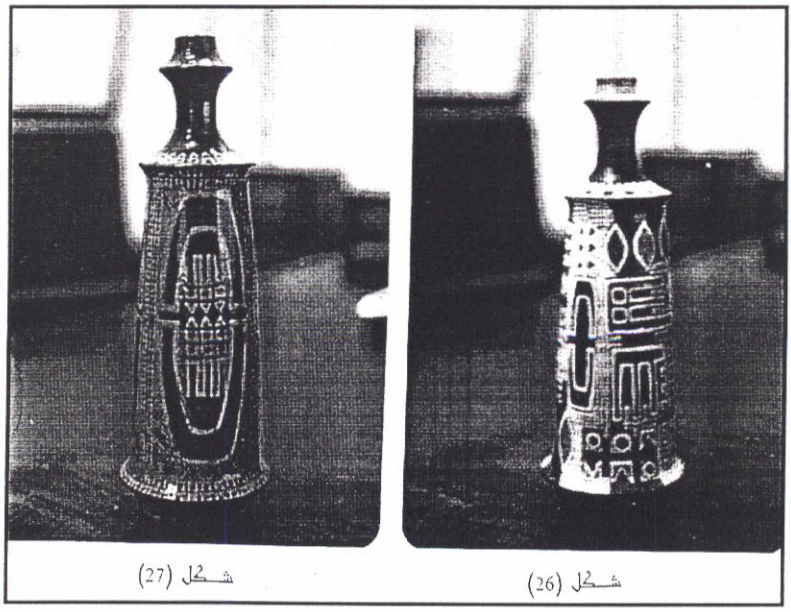

شكل (26) شكل (27)

اشكال المرحلة الثالثة

المرحلة المتاخرة من اعمال فالنتينوس

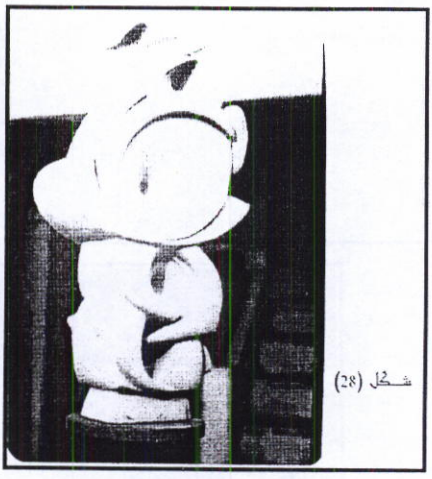

شكل (28)

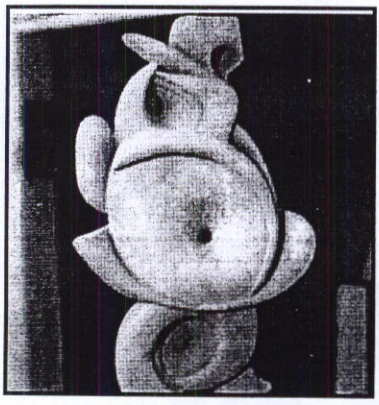

شكل (29)

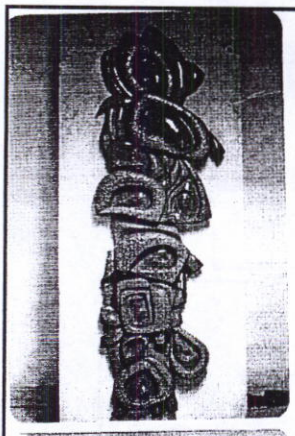

شكل (31)

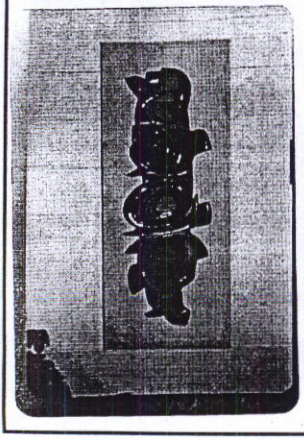

شكل (32)

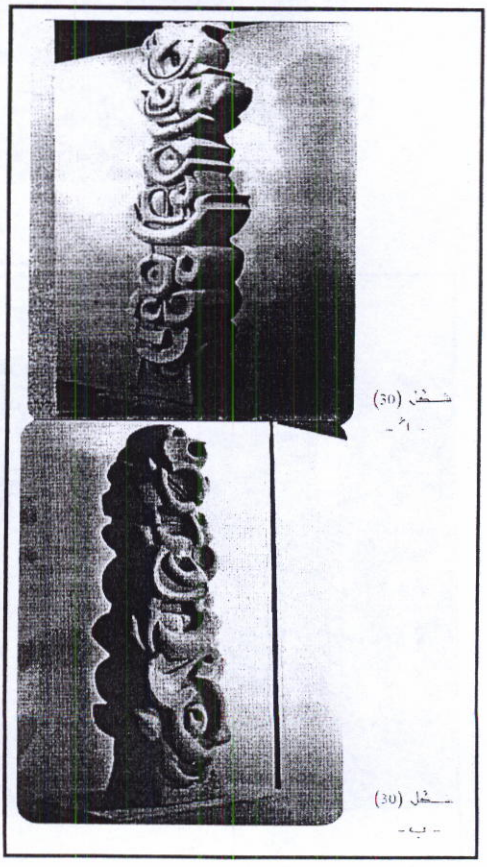

شكل (30) - أ -

شكل (30) - ب -